

المندائييون والعماد عند ضفاف الزلال "الهلال، النجمة والشمس"



أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون.

(الآية 30 الأنبياء)

الدكتور توفيق التونجي

كنت قد حزمت أشلائي لأعود الى الوطن حاملا أوراقى ودفاترى وقرطاسى بعد إنهاء دراستى الجامعية لأشارك فى خدمة الوطن وإنسانها المعذب خريف عام 1977 وبات لى كل تلك الأحلام الوردية قابل للتحقيق رغم إنى كنت احمل فى كنيتى فى ملفات السجلات الرسمية قرار لمجلس قيادة الثورة المنحل بإحالتى إلى المحاكم بتهمة المشاركة فى الحركة الكوردية التحريرية عام 1975، أقول وأنا بحالى تلك التقي بشاب اسمه خالد جاء لدراسة الماجستير فى علوم المكتبات فى عاصمة الحثيثين أنقرة ولأعرف لاحقا بأنه ابن أخ صديق عزيز "التونجي" أى صائغ فى الكرازة اسمه خليل فنان ومبدع فى صياغة الحلوى. بقيت أرافقه بعض الوقت كدليل فى مكان دراسته الجديدة ولعدة أيام واكتشف من خلاله عالم جديدا اسمه "المندائيون" الصابئة الإبراهيمية ولأرى بعيونه العراقية أصالة شعوب العراق القديم ومدى عمق جذور الثقافة والعقائد السماوية فى ارض إبراهيم الخليل أبو الأنبياء(1). أتذكر ان كل معارفى فى تلك الأيام عن الصابئة (2) ادين بها لصديقى رغم انها كانت ولا تزال محدودة جدا عن أصول وتعاليم احد أقدم تكوين اثني وعقائدي عراقي أصيل وصلوا وتواصلوا عبر الزمن رغم كل الشدائد وحمالات الغزو والجيوش ودمارهم للوطن أقول حافظوا على تواجدهم الإنسانى رغم قسوة الزمن حاملين راية السلام والمحبة. وانا فى طريق عودتى توجهت الى مدينة اورفا " حيث كانت لى علاقة وجدانية بالمدينة وأهلها ولا تزال وعند مقام إبراهيم فى احد أقدم مدن الشرق قاطبة "الرها" تتوحد أرواح من زاروا المدينة مع تلك الأسماك الفرحة التى تتسابق فرحة فى الماء المحيط بالمقام.

كان صراع الراعى والفلاح فى العراق القديم صراعا شرسا استخدم فيه كافة الوسائل من كلا الطرفين لامحاء وجود الإنسانى للطرف المقابل منذ أيام هابيل وقابيل. حين كان طوفان الفراتين يحمل الخير للراعى بينما يحمل الدمار للفلاح فباتت تراثا منحورا فى وعى الإنسان وثقافته وإشكالية بين أمنية النجاح فى الصراع من أجل البقاء على الحياة او الفناء والهلاك. كان للعبقريّة الإبداعية العراقية على ضفاف النهرين الخالدين إنتاج لا يزال يتردد وينعكس ايجابيا على مجمل الإنتاج الأدبى والثقافى والعقائدي الإبداعى للكتاب العراقيين.

* الصورة : نحت حجرى عثر عليه فى حدود مدينة بابل ، القرن الثانى عشر قبل الميلاد، فى أعلى النحت يمكن رؤية الرموز الدالة على القمر والشمس وكوكب الزهرة . (القطعة من مقتنيات المتحف البريطانى)1 وردت الصورة فى كتاب: قراءة فى سطوح السماء، من ترجمة د. مالك مالك لمجموعة من الدراسات فى العلوم والثقافة الفلكية لمؤلفين إيطاليين. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 2005. راجع كذلك ، اصول الصابئة (المندائيين)، عزيز سباهى، دار المدى، 1996. كما يتطرق أسنانا الكبير على الشوك فى تناوله للأسطورة الدينية الموضوع من جوانب متعددة نتيجة لثقافة استاذنا الموسوعى والتعددي. انظر: الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، 1987 ، لندن، دار الام. 1. يذكر الاستاذ محمد عبد الحميد الحمد ان "إبراهيم الخليل عليه السلام عندما توجه من حران الى "فدان أرام"، سمي بالارامى نسبة الى تل فدان أرام تقع غرب حران بحولى 10 كم، وسمى حفيده يعقوب بن اسحق بالارامى التائه، عندما هاجر من ارض كنعان الى فدان أرام. 2. الصبا من الارامية وتعنى الاغتسال او العماد وتأتى عملية المسح عند اليهود والمسيحيين فى عملية التعميد الذى اشترك منه اسم "المسيح". كما كانت للهِة أنا من كبار الاله عند السومريين والاكديين وهى رب المياه والحكمة يرجى مراجعة أسطورة تموز الراعى وهيام عشتر له ورحلته الى العالم السفلى وسواد الظلام والدجى ارض السواد.

واعني به كل تلك الملاحم والأشعار والنصوص المقدسة التي توارثناها أبا عن جد والتمثلة في ملحمة كلكماش والطوفان " الجيم يدمع ياء في لغات العراق القديم". كل ذلك بشكل او بأخر انعكس على مجمل الثقافة العالمية والإنسانية وحتى بات مصدرا مهما يشار إليه في الكتب الدينية المقدسة.

ان رحلة المندائيين سفرة طويلة عبر الزمن ملئها العذابات تمكنوا خلالها الحفاظ على وجودهم الإنساني في منطقة طالما كانت مسرحا للحروب والغزوات وقد احتل العراق عدة مرات وساد فيها ثقافات جديدة فلو نظرنا مثلا الى الفترة الاغريقية بعد وفاة الكسندر المقدوني في بابل. نراه استمر اكثر من ثلاثمائة عام في مناطق مختلفة من الشرق وفترات متباينة وساد الثقافة الهلنستية الاغريقية الحياة العامة للناس لبعض الوقت قبل نزول سيدنا المسيح وبعده وكان العمران العراق في تلك الفترة تأخذ تدريجيا عمارة اليونان ولكن السلوقيين لم يسعوا الى فرض معتقداتهم الدينية على اهل البلاد لا بل يعتقد انهم ابداوا الكثير من المرونة لعبادات الناس واعتقاداتهم وادبرتهم ومعابدهم المختلفة.

وورد اسم الصابئة صريحا وفي عدة آيات في القرآن الكريم باعتبارهم من أهل الكتاب الموحدون وقد نرى ان الفكر التوحيدي انتشر صوب الشمال وصولا الى اليونان وقادما من الشرق في الأساس وليس العكس. وقد ادى فكرهم التوحيدي هذا الى تسهيل مهمة اندماجهم في المجتمعات الإسلامية الجديدة حيث مبدأ التوحيد يمثل العماد الأساسي للدين الإسلامي الحنيف حيث يعتبر كل الموحدون من أهل الذمة يتركون كي يؤدون طقوس عبادتهم في معابدهم "المندي" بسلام. وقد دخلت الأقسام العراقية الأخرى في الدين الجديد تاركين عبادة الأصنام وهاجرين معبد النار ممن كانوا من أتباع الديانة المجوسية التي كانت تنتشر شرقا وتجد في طيسفون عاصمة الساسانيين وكسرى مركز أساسيا لهم بعد فتح العراق في معركة القادسية 635م وتقدم جحافل الجيش الإسلامي شمالا الى كوردستان وصولا الى شواطئ البحر الأبيض المتوسط.

وإذ صح التسمية الإسلامية "الصابئة" التي أطلقها المسلمون الذين توغلوا شمالا في فتحهم للعراق حين التقوا بجملته من الشعوب والعقائد الدينية المختلفة في حران "تقع في تركيا اليوم" حين التقوا برجال الدين هناك وعرفوا ان لهم كتابا مقدسا " كنزا ربا" مستفسرين عن كنه عباداتهم مستخلصين بذلك استنتاجا مفاده إنهم من الصابئة الوارد ذكرهم في القرآن الكريم.

إن هناك علاقة فكرية وعقائدية بين صابئة حران (3) وميسان وفسطين وإيران ولا ريب ان الصابئة تاريخيا وجدوا على طول شواطئ دجلة من منابع روافدها في جبال كوردستان (4) الى مصبها عند قرنة الأبله واتحادها مع الفرات في القرنة. أقول وجدوا في تلك الشواطئ وطنا يسهل بالدرجة الأولى أداء طقوسهم الدينية حيث "العماد" أي الغطس في الماء الجاري نهارا، الماء مصدر الحياة. احد أهم مرتكزات الانتماء الى هذه الطائفة. ان مجرد الحديث عن العماد يأخذنا الى فلسطين حيث الروايات الواردة عن نبينا يوحنا المعمدان (5) وعماده لنبينا عيسى عليه الصلاة والسلام (6) ويعتقد الصابئة بكون المسيح احد مريدي يحيى المعمدان الذي اكتشف الروح النبوية المقدسة في شخص سيدنا المسيح. الحقيقة التاريخية المتوارثة في حياة الأنبياء والرسل والصالحين يأخذنا دوما الى بلاد السواد وأصول وأعراف شعوبها وعقائدها المرتبطة بالأساس في فكرة توحيد الخالق عز وجل حيث تتلاقى نصوص جميع الكتابات المقدسة في تمجيد الواحد القهار وقد يكون ذكر ابو الأنبياء والرسل سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام من اكثر الشخصيات التاريخية التي تدور حولها النقاش والجدال حيث يعتبر رجل دين وفكر مر في العديد من المدن الواقعة على دجلة وصولا الى فلسطين ومكة المكرمة.

3. يقول الترميذا علاء النشمي في مقالة له تحت عنوان " صابئة حران والمندائيون اليوم": وفي الحقيقة توجد أكثر من مدينة سميت حران، فحران في تركيا وحران في سوريا وحران في العراق ويردف مستوضحا موضوع الصابئة في فلسطين قائلا: كان الصابئة يظنون تلك المدينة المسماة بحران، وعندما هاجر الصابئة المندائيون الفلسطينيون في القرن الأول الميلادي بعد دمار أورشليم حوالي سنة 70 للميلاد على يد القائد الروماني تيطوس، صعدوا الى هذه المدينة، لان لهم اخوة في الدين. بقي منهم في حران، والبقية الباقية أثرت النزول الى وادي الرافدين عن طريق النهريين، وخاصة عن طريق نهر الفرات حسب اعتقادي، ومرروا ايضا ب(بصرى - حران) عاصمة الانباط للالتقاء والاستقرار أخيرا مع اخوتهم ايضا الصابئة الموجودين في البطائح .. وكانت هذه الهجرة تحت رعاية الملك اردوان (يعتقد بأنه الملك البارثي ارطبانوس)، هذا ما ذكره الكتاب المندائي التاريخي (حران كويتا). 4. دجلة: يبلغ طول نهر دجلة 1970كم و ينبع من المناطق الجبلية المطيرة الواقعة جنوب وجنوب شرقي تركيا" التسمية الرسمية لكوردستان في تركيا". ويتكون النهر في منابعه العليا من عدة جداول صغيرة ولا يظهر مجراه موحدًا إلا بعد أن يلتقي رافده الشرقي دجلة برفده الغربي بوتان صو. و يأخذ النهر اتجاهًا جنوبيًا شرفيًا قاطعًا مسافة 300كم عبر مناطق تمتد عبر كوردستان في تركيا وهي اراضي ورة حتى يدخل اقليم كوردستان العراق عند قرية فيشخابور حيث يبلغ طوله 1290كم.

معظم روافد دجلة تقع منابعها في كوردستان ان كان في تركيا او في ايران وهي كالتالي:
* الخابور: و ينبع من المنطقة الجبلية في كوردستان تركيا ثم يلتقي نهر دجلة عند مدينة فيشخابور.
* الزاب الكبير: و ينبع كذلك من المنطقة الجبلية في كوردستان تركيا ثم يصب في نهر دجلة عند اثار بقايا مدينة نمرود الاثرية التاريخية. و يعد الزاب الكبير الرافد الرئيس لنهر دجلة نظرا لكثرة المياه التي يحملها إليه، إذ تقدر هذه بحوالي 33 في المائة من حجم المياه الجارية في نهر دجلة.
* الزاب الصغير: و ينبع من المرتفعات الشرقية في كوردستان الإيرانية و يلتقي بدجلة جنوبي مدينة الشرفاط.
* العظيم: و تقع منابعه كلها داخل الأراضي العراقية وتجمع بفرعها المتعددة مياه الثلوج من مرتفعات جبال كوردستان والتي تنوب مع حلول الربيع، و يلتقي دجلة عند مدينة بلد، و العظيم نهر فصلي تنحدر إليه كميات كبيرة من مياه الأمطار شتاء مثقلة بحمولتها من الرواسب و لكن مجراه يصبح في فصل الصيف خندقا جافا تقريبا.
* ديالى: و ينبع من المرتفعات الشرقية في كوردستان الإيرانية و يقع جزء من منابعه في اقليم كوردستان العراق ثم يلتقي دجلة على بعد 32كم جنوبي بغداد.
5. شخصية يوحنا المعمدان ورد في القرآن والإنجيل وفي الإسلام يعرف باسم يحيى ومولده في القصص القرآنية أسطوري ومعجزة سماوية حين يقوم النبي زكريا بالدعاء الى ربه كي يعطيه ذرية من زوجته العجوز وكانا كلاهما طاعنين في الكبر حيث يرزقه الله سبحانه وتعالى ويبرسه بغلام صالح اسمه يحيى وقد وردت قصة النبي يحيى بأشكال مختلفة ولكن بنفس المضمون في الإنجيل وفي كتاب "درأشه أدبه يا" احد كتب الصابئة ترتبط عملية الحمل الولادة مع شرب الماء المقدسة.
5. راجع: مخطوطات البحر الميت، محمود العابدي، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، 1968. وكذلك: انظر: محمود العابدي، قفسنا، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية - قسم البحوث والدراسات الفلسطينية 1972. وقد اكتشف بدويان وهما محمد النويب ومحمد حماد تلك المخطوطات في إحدى الكهوف المطلة على البحر الميت في أواخر الأربعينيات. أودعت بعد ذلك تلك المخطوطات والعديد من مكتشفات الأثرية في المنطقة في المتحف الفلسطيني وبعد حرب حزيران عام 1967 انتهت الى السيطرة الإسرائيلية ونقلت بعد ذلك الى متحف الكاتب الإسرائيلي بالقدس الغربية. وقد دار جدل طويل حول نصوص تلك المخطوطات وتدخل الفاتيكان بإرسال لجان للتحقق والترجمة تلك النصوص علها لا تعارض نصوص الأناجيل المعمول بها حاليا ومن المعتقد ان تلك النصوص لم توشر الى حادثة ظهور سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام.

لا ريب ان العلوم الإنسانية والتطبيقية كانت في حضارات العراق القديم قد تطور بشكل ملحوظ في حين كان العالم بأسره يغط في نوم وسبات عميقين. ان الإرث الثقافي والعلمي لشعوب الحضارات العراقية القديمة لم تصلنا كاملة بل جرى عليه الكثير من التغيرات وربما تحت تراب السواد هناك الجواب الشافي لألغاز تاريخية كثيرة لم نجد أجوبتها لحد يومنا هذا.

إن مجرد التقاء الثقافات المتباينة على ارض الرافدين أدى الى نشوء حركة فكرية وعلمية تطويرية يمكن تشخيصها في فترات تاريخية متباينة وقد وجد رجال الفكر أساليب كثيرة لمواصلة البحث الاستقرائي الفكري خاصة تلك المرتبطة بعلم الفلك والأجرام السماوية وحوادث البيئية والكوارث كالزلازل والجفاف والفيضان وهجوم الجراد وشحة المياه وانتشار الأوبئة والأمراض المترامنة مع تركيبة معينة لمواقع النجوم في صحن وجه السماء حيث انتشار النجوم والكواكب وتغيرات مساراتها ومجراتها ومنازلها وخرائط مواقعها مع مرور الزمن. اي تفسير تلك الظواهر الطبيعية وربطها بسلوك البشر.



الملك جوديا وإناء الذي يندفق منه الماء

إن الثقافة والعلوم والتربية الإسلامية دعت في مقوماتها الأساسية دوما الى عالمية الفكر ونبذ التقوقع الطائفي والقبلي والقومي لمصلحة الانتماء الى الأمة. وقد ساد هذا المبدأ حتى بدايات العصر الحديث وبدا الانشقاق والفرقة مع نمو الشعور القومي مع نهايات العهد العثماني وعظم إبان الحرب العالمية الأولى مع ظهور دول القومية والوطنية في الشرق ورسم المحتل البريطاني والفرنسي لحدود الدول الإقليمية على ما عليه في الوقت الحاضر.

إن الاستناد الديني على مبدأ "لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى" أدى الى طمس روح الانتماء القبلي والقومي في مجمل النشاط الفكري وخاصة لغير المسلمين بتحبيذ الانتماء الى الايمان على الانتماء الى القوم ويات معالم الإنتاج الفكري والأدبي والعقائدي وخاصة للطوائف الغير مسلمة وإنتاج رجال الفكر أكثر بلورة ووضوحا. بينما كان دوما يحاولون عرض إنتاجهم الفكري في صيغة دينية إسلامية للحفاظ على وجودهم من ناحية ومن ناحية أخرى استمرارهم في نشر الإنتاج الإبداعي الفكري وخدمة العلم وتطوير المجتمعات.

إن العديد من رجال الفكر والعلم والفلك واللغة هم من شعوب غير عربية بالدرجة الأولى ولهم انتماءات عقائدية غير إسلامية ولكن الصبغة الإسلامية كانت طاغية "تقية" على حياتهم. هناك العديد من المدارس الفكرية التي ظهرت على ارض العراق وجماعات من رجال الفكر والأدب والعلم وطرق دينية قد لا نجد مثلها في كافة دول العالم وتلك نتيجة حتمية لوجود أصول تاريخية وموروث عقائدي وفكري في المنطقة. من هذا المنطلق نرى أسماء علماء أجلاء وفي معظم العصور والأزمان ينتمون الى المندائيين وهم بفكرهم النير قدموا اجل الخدمات للفكر والعلوم الإنسانية. وليس بعيدا اهتماماتهم الفكرية عن معتقداتهم ودور علوم الفلك والظواهر الطبيعية والرياضيات في تفسير تلك الظواهر ومحاولة إيجاد القوانين الفيزيائية التي تتحكم بتلك الظواهر وسعيا الى التوفيقية بين المعرفة العلمية والإيمان وربما ها هنا يلتقون مع العديد من الجماعات الفكرية التي رأت في المعرفة العلمية والمنطق وعلوم الرياضيات والفلسفة والأيمان بالغيبيات في تكوين توفيقية لتلك العناصر كجماعة "إخوان الصفا وخلان الوفا"(7).

7. عن حركة اخوان الصفا يقول: .. هذا يظهر جليا عند قراءتنا لبعض الرسائل التابعة لهذه الحركة والتي تسمى (رسائل اخوان الصفا) فوجدت فيها فصلا كاملا عن علاقة حسابية فلكية رقمية، نفسها موجود في كتاب مندائي يسمى (أسفر ملوasha - سفر الأبراج) اعتقد بأنه ترجمة حرفية عربية لما موجود في هذا الكتاب المندائي !!! إضافة للتشابه الغريب والعجيب للأفكار الغنوصية الموجودة في هذه الرسائل، مع أجزاء من ديوان مخطوط باللغة المندائية يدعى (ألف ترسر شباله - ألف واتشي عشر سوال). للمزيد يرجى مراجعة الموقع التالي:

<http://www.mandaeanunion.org/>

انظر كذلك الى : سيد محمد تقفي, آراء و نظريات اخوان الصفا , بالفارسية يرجى مراجعة العنوان التالي

ولا ريب ان حتى الفلسفة اليونانية المعروفة اليوم تجد أصولها وأسسها الأولية عند شعوب العراق القديمة التي أسست وعلى طول نهري دجلة والفرات. لا ريب ان علوم الفلك وتأمل السماء وحركة النجوم والكواكب كانت أول الطريق في مسار البحث عن القدرة الإلهية وكل ما يخص بحوادث التي تحصل على الثرى.

يعتقد الصابئة المندائيين بخلود الروح وهناك عقائد كثيرة أخرى باطنية تسير في هذا المنحى كالكائين وهي طائفة دينية تنتشر في منطقة كرميان بين الاكراد تؤمن كذلك بتناسخ الأرواح. وهناك تشابه كذلك بين معتقدات وطقوس الايزيديين والمندائيين وخاصة العماد وانحصار النص المقدس بيد رجال الدين وشعائر دينية أخرى.



ورغم وجود صفات مشتركة بين صابئة حوران وفلسطين والعراق وجنوب إيران فيما يخص العقيدة وطقوس العبادة إلا إنها ليست متطابقة ومتشابهة تماما وان دل ذلك على شيء فإنما يدل على تطور العقيدة تحت ظروف صعبة وانزواء واعتزال والانطواء أعضائها على أنفسهم وتوقعهم في عملية الحفاظ على الحياة والوجود والاستمرار. كما هي عليها حال جميع الفرق العقائدية الباطنية الأخرى. يبقى أن نعلم إن النص المقدس العلني والسري منه يكتب باليد وحصرا بين رجال الدين وباللغة الآرامية (8) القديمة والتي يجيدها القلة من الناس وربما لا يفك طلاسمها حتى رجال الدين أنفسهم بل يتلونها تلو دون معرفة معانيها أحيانا بينما يردد العامة ما يتلى عليهم كنص مقدس(9).

إن التقاء العقائد المختلفة في حوض الشرق مسالة طبيعية جدا ليس فقط لوجود المكان النموذجي للقاء الثقافات المتباينة على ارض الرافدين وإنشاء حضارات تعددية ثقافيا وأثنيا بل ان ثروات المنطقة من وجود الماء والأراضي الخصبة والحياة الفكرية والدينية العقائدية الغنية كونتا بؤرة تجذب أطماع الشعوب من الشرق والغرب وللتحول ومدى العصور الى ارض تسيل فيها الدماء وتجري. ان سواد الفكر الشمولي لم يترك لشعب العراق وفي العديد من المراحل التاريخية الخيار بل اجبروا على الرضوخ لمشيئة الغزاة.

كل ذلك التنوع أدى الى تكوين مجموعات عقائدية باطنية اتخذت من اللغة الدينية المقدسة لغات لها وربما هجرت لغاتها القومية الأصلية. فمن المعلوم ان ليس كل من تكلم العربية وأجادها كتابة وتأليفا وشعرا، عربي مثلا. تاريخيا نرى انه من المؤسف قد شارك الكثير من رجال العلم من المؤرخين والآثار بين في تقديمهم الدلائل والقرائن بصحة التوجهات القومية الفكرية وكمنادين للفكر القومي خاصة سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى وتأسيس الأحزاب القومية في المنطقة.

بدا العديد من رجال الفكر والسياسة من حملة الفكر القومي الاعتماد على آراء هؤلاء الجمهرة من علماء الآثار في تشخيص هوية قومية اعتمادا على اللغة المحكية وأصول تلك اللغات فإذا كانت اللغة ذو جذور سامية استخلصوا إلى نتيجة مفاده إن اصل هؤلاء القوم من جزيرة العرب وانتمائهم القومي عربي وهلم جر متناسين حقيقة الانتماء الثقافي والديني للشعوب ومدى علاقة ذلك الانتماء بالانتماء القومي. وكنتيجة لذلك نرى المندائي اليوم يتحدث العربية في العراق بينما نراه في إيران يتحدث الفارسية وقد تغير حالهم في تركيا إلى درجة لا يمكن اليوم الحديث عن وجود المندائيين هناك وقد اتصلت بصديق العمر الدكتور حسام صالح جبر الأستاذ في علوم تصفية المياه والمعروف عالميا لاستعلم منه أحوال المندائيين في تركيا فاخبرني بأنهم وربما طهروا عرقيا ولا وجود لهم في الوقت الحاضر.

8. لقد قام الأب انتستاس الكرمليني بنسخ احد اهم الكتب المندائية "سيرا ادا نشماته" عام 1896.

9. يقوم الأستاذ عزيز سباهي بتقسيم تلك النصوص الى ست مجاميع. راجع كتاب "أصول الصابئة". ويتساءل قائلا: اما اللغة التي دونت بها كتبهم الدينية، والتي كانت يوما ما لغتهم في التخاطب أيضا فهي لهجة خاصة من اللهجات الآرامية الشرقية. ونتيجة لطغيان الثقافة العربية الإسلامية والحكم العربي الإسلامي الطويل، والتضييق والاضطهاد الذي يحاصره عبر الأجيال، انمحت لغتهم الأم تدريجيا في التخاطب وانزوت في الدوائر اللاهوتية او حتى في الكتب الدينية فقط. فهل كان أصلهم من الآراميين ثم غلب عليهم الانتماء العربي؟ راجع مقال الأستاذ سباهي: الى أي قوم ينتمي الصابئة المندائيون؟

وقد كنت قدر زرت تلك الأنحاء ومرات عدة في السبعينات والتقيت بالقرويين الذين لا يزالون يتذكرون ماضي القوم في العهد العثماني وبعد إعلان الجمهورية التركية والتطهير العرقي والديني الذي صاحب حرب الاستقلال وعملية تأسيس الدولة التركية المعاصرة. الجدير بالذكر إن أقوام العراق قد غيروا لغاتهم عبر التاريخ مرات عدة نتيجة لتبني لغة الحاكم المتسلط أو محبة بلغة الدين.

العراق جنائن غنية بكافة ألوان الطيف وبوتقة ثقافية، عقائدية وفكرية لا مثيل لها في الكون. جاءتنا كل هذا الإبداع الفكري الإنساني، إرثا مصانا، تواردنا ها جيل بعد جيل، توارثناها، ومنذ الخليقة الأولى. إن الحفاظ على تلك الموروث الإنساني الغني مسؤولية عالمية ومحلية. دعنا نكون جميعا بقدر حمل تلك المسؤولية ونصون كل هذا الثراء و الثروة الثقافية الإنسانية كي يتواصل الإبداع الإنساني إلى ابد الأبد في مجتمعات تسودها الأمن والسلام والطمأنينة.

الدكتور توفيق التونجي
السويد
20060606